



بفضل السياسة (الحكيمة)! لعباقرة الدبلوماسية الروسية، خسرت روسية حتى اليوم، معظمَ ما بقي من مركباتها ونفوذها في منطقتنا العربية، لاسيما في العراق ولبيبة.

ولم يبق لها من نفوذٍ إلا في سوريا، التي يحكمها طغاة لم يُنجب التاريخ الحديث للبشرية مِثلهم أو شبيههم، في الطغيان والفساد!.. لا غرابة ولا عَجَب، أليست هذه السياسة (الفذّة) لعمداء الدبلوماسية الروسية.. مُسْتَمَدةً من العمق الاستراتيجي التارخي، لعباقرة الدبلوماسية الس塔لينية؟

التي انقرض -بفضلها- ما كان يُسمى بالاتحاد السوفييتي، وتبعثرت دوله الخمس عشرة إلى شظايا، ووصلت (برَكَاتها) إلى دول أوروبية الشرقية وحليفاتها في العالم كله؟!..

أولَم تُخسر الدولة السوفييتية المنقرضة: مصر والسودان، وهي في أوج قوتها؟!.. ثم اليمن الجنوبي والجزائر، وهي في حضيض ضعفها؟!..

أولَم يبرهن الروس من خلال هذا التاريخ (العرق المُشرق) كله، أنهم في غاية البراعة السياسية؟!.. التي يزعمون أنهم يُتقنون فنونها من أَلْفَها إلى يائها، فلا هم يستفيدون من التجارب في أوج قوتهم، ولا هم يَغْنُمون في حضيض ضَعْفهم!.. وذلك كله، بفضل خبراتهم السياسية المتراكمة!، التي لم تُعِلِّمهم الدروسَ السياسية البناءة، خارج نطاق الأيديولوجيا والقوالب الشيوعية الحمراء!..

بدءاً من عام 1960 م، اشتهر السوفييت بسياسة (الحذاء).. حذاء خروتشوف، رئيس وزرائهم في ذلك الوقت، الذي خلعه في جلسةٍ رسميةٍ للجمعية العامة للأمم المتحدة، وضرب به الطاولةَ التي أَمامَه، مُثِيرًا ضحك الزعماء الحاضرين وقهقهاتهم، بينما عَلِقَ -بُخُبُثٍ- رئيس الوزراء البريطاني (هارولد ماكميلان)، الحاضر في القاعة نفسها آنذاك: [هل لكم أن تُترجموا لي ما يقوله الروسي خروتشوف، فأنا لا أفهم اللغة الدبلوماسية الروسية!]!..

وهو الأمر الذي دفع علماء النفس، ليضيفوا إلى قاموس المصطلحات النفسية، مصطلح: (دبلوماسية الحذاء السوفييتية)، وعرّفوها بأنها: [أقصى السبل لخسارة تقدير الناس الأصحاء!]!..

منذ الأيام الأولى لاندلاع الثورة الشعبية السورية، حذر عميد الدبلوماسية الروسية من قيام دولة (سنّية) في سوريا!.. ولم نكن قد اكتشفنا في ذلك الوقت، أنّ لافروف العلماني الأرمني، يهتمّ بإحصاء أعداد السوريين من كل طائفة، وينسبها في المجتمع السوري، فسياسته (الحانقة) تقتضي، أن تبقى الأقلية الأسدية مستمرةً في حكمها وطغيانها ودكتاتوريتها وفسادها، ولا يحق للأكثرية الكاثرة - حسب السياسة الديمocrاطية الروسية. أن تحكم البلاد!..

ولعل هذه (الحكمة) قد استمدّها من أصدقائه الإيرانيين الإثنا عَشريّين، فأضاف إلى فنونه السياسية، باباً من أبواب الحماقة الصفوية الفارسية!..

ثم أمعن (النجيب) لافروف، في اتهام الشعب السوري وثورته، فأطلق على الثوار ألقاباً عدّة، لعلّ أشدّها (نبوغاً) لقب: العصابات المسلّحة، وهي العصابات نفسها التي يدعوها اليوم لحوار (الطرشان)!.. فأضاف إلى (مهاراته) السياسية العظيمة، بُعداً جديداً، مُستمدّاً من غباء المنطق الأسدّي، المعرف من مفاهيم العصور الوسطى الأوروبيّة!..

وما يزال (لافروف) يحدّثنا عن الحلّ السلمي والسلام، حتى كدنا نكتشف، بأنّ السلاح الذي يقتلنا به صاحبه الحميم وحليفه بشار، ويدمر به سوريا، ويهلك الزرع والضرع.. مصنوع في كوكب بلوتو، ومشحون بسفّنٍ مسأجّرة من كوكب عطارد، تixer مياه البحر الأبيض المتوسط، ثم (تهبط) في القاعدة الروسية بميناء طرطوس!..

وما يزال (النابغة) اللافروفي يهدّدنا - كصاحب (النزيه) الأخضر الإبراهيمي - بقتل المزيد من آلاف السوريين، إن لم نستسلم لحلوله السياسية (العظيمة)، المصنّعة في موسكو و(جنيف) ظاهرياً، وفي واشنطن ولندن باطنياً.. حتى ظلّنا أنّ أبطال جيّشنا الحر، وثوارنا الأماجّد.. لم يصلوا بعد، إلى مطار دمشق الدولي، ولم يَتسلّلوا حتى اللحظة، بِدِكَ القصر الأسدّي، (العامر) بالرعب والهزيمة والجلطات الدماغية والقلبية والرئوية لسكنّاه!..

العقبة السياسية الروسية، لم تكتشف بعد، أنّ إنقاذ ما يمكن إنقاذه من مصالح روسية وهبّتها في القلعة الأخيرة لها بالمنطقة العربية، التي داسها أبطال سوريا بنعال أطفالهم ونسائهم.. لا يكون بالسياسة القاتلة نفسها، التي جعلت مُلكَ روسية ونفوذها ومصالحها في لبيبة.. قاعاً صحفاً!..

لكنّ المكابرة الفارغة هي عmad السياسة بالمفهوم الروسي، ودبلوماسية (الحذاء) هي أعظم ما لديهم من فنون، فهم لا يكتفُون بتألّف باء السياسة (لا نقول الأخلاق) التي تدعوهم للاصطفاف إلى جانب الشعوب الباقيّة، التي تنشد التحرّر والحرية.. بل يستمرون في دعمهم للطغاة الزائلين على أعين الناس أجمعين، فلا يقْبضون إلا الريح التي حصّدواها - بجدارٍ - في لبيبة!.. ربما.. نقول: ربما، يفهم الروس فنون السياسة التي يتمتع بها الأسوّياء من البشر، عندما يرون - بأمهات عيونهم - جنودهم الصناديد، وهم يُطلقون سيفانهم لريح طرطوس، فيغرق منهم، حتى من يُجيد السباحة، في مياهنا الإقليمية.. تماماً، كما أغرق السوريون - بدمائهم - السلاح الروسي المتطوّر، ودفّنوا حُطامه - بعد أن بَهَدوه - في أعماق ترابهم الوطنيّ السوري!..

لم تعد روسية (العظمى) بحاجةٍ للاعتذار إلى الشعب السوري فحسب، كما صرّح السياسي السوري الأصيل (عديم الخبرة!) أحمد معاذ الخطيب..

بل صار شبيح دبلوماسيّتها لافروف، مَدِينَا بالاعتذار إلى الأستاذ الخطيب نفسه أيضاً!.. وهنا يمكننا أن نلمسَ بوضوح، حماقة السياسة الروسية التي يقودها الوزير لافروف في القرن الحادي والعشرين.. وهي سياسة تبدو - ولا فخر - مستمدّة من (الخبرة) السياسية لمخلوقات العصر الطباشيريّ!..

المصادر: